

(المنهج الجمالي في الأدب)

د . إبراهيم محمد النجار

جامعة الزيتونة الأردنية

عمّان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب شكل من أشكال التعبير، يتميز عن التعبير اليومي الحياتي الذي تستخدم اللغة فيه لأداء الوظائف الحياتية في تفاهم الإنسان مع غيره، فالأدب أعلى درجة من هذا، ولذا فهو يحتل مكانة خاصة.

نظر العرب إلى الأدب على أنه المعرفة التي يملكها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وهذا يوثق الصلة القديمة بين الأدب والمعرفة، ويوسع في معنى الأدب ليشمل كل المعارف التي تعلّم الإنسان الفصاحة، والظرف والفهم. واقتصر تعريف الأدب عند الإغريق والرومان على الأدب التخيلي والشعر الغنائي. وقد ظهرت في العصر الحديث تعريفات للأدب وثّقت صلة الأدب بالحضارة، فكانت أشبه بتعريف العرب له ونظرتهم إليه (1).

والأدب فن من الفنون الجميلة، وقد شغل به الفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً، وهو من أبرز النشاطات الإنسانية، وهو ظاهرة معقدة، متعددة الأوصاف والتعريفات التي تصل إلى حد التناقض أحياناً، "إن الأدب ظاهرة معقدة تنجلي وجوهاً مختلفة، وتسلب عليها الأضواء تبعاً لاختلاف العصور." (2)

وظيفة الأدب

إنّ نشاطات الإنسان متنوعة ومتعددة وهادفة ، والأدب في قمته ، وله وظيفة جوهرية : " إن الأدب يؤدي وظيفته باعتباره كلاً لا يتجزأ ، ففيه الفلسفة والتاريخ ، والموسيقى ، والخيال ، لكن كلاً من هذه العناصر يمتزج بالآخر ويندمج فيه ، وفصل هذه العناصر بعضها عن بعض ، والنظر في كلٍ منها بمعزل عن الآخر يعتبر عدواناً على طبيعة الأدب ."(3)

فوظيفة الأدب هنا تؤدي عندما ننظر إليه بناءً متكاملًا بعيداً عن التجزئة والتفريع إلى عناصر معرفية ونفسية وفنية ، وكلها شروط واجبة ليؤدي الأدب وظيفته.

الأدب والفن .

الأدب فرع من الفن بمعناه العام ، وبناء الأدب عملية فنية ، ومعاناة إنسانية يقوم بها الأدباء الفنانون تحت ظروف معينة ، بعد تملك قدرات عديدة من موهبة ، ومعرفة ، وإحساس متفوق ، وتنمية مهارات في الفنون الأدبية كلها أو بعضها . " الاتجاه السائد الآن لدى عدد كبير من المشتغلين بالبحث الأدبي أن الأدب فن "(4) ويرى عدد كبير من المشتغلين بالبحث الأدبي أن كل عمل أدبي كتب جيداً ، وجاء مؤثراً ، فن من فنون الأدب ، ويستثنون من ذلك الكتابات الرديئة ، والتعبيرات الأدبية الضعيفة .(5) ويصف آخرون الفن بأنه تفكير إنساني جاء في صور ، ومنها الصور الأدبية في الأنواع كلها.(6)

و يؤكد على ضرورة انبثاقها من المجتمع وسعيها لخدمته ، مهمة بذلك كثيراً من الجوانب الباعثة على الفن بعامة والإبداع الأدبي بخاصة ، من موهبة ، وقدرات فردية ، ومعارف ، ومهارات ، وهم يقولون : " موضوع الفن هو طابعية حياة الناس الاجتماعية المدركة أيديولوجياً ، وطابعية حياة الطبيعة المرتبطة بها على نحو ما "(7)

وهذا القول يجعل ميدان الفن والأدب متسعاً ، محيطاً بكل شيء ، وهو مخالف لرأي جمهور المهتمين بالأدب ، ويعدونه خروجاً على مبدأ أساسي في الفن ، وهو (الاختيار) .(8)

فطبيعة العمل الأدبي الفنية تحتاج إلى التأمل الخالص الذي يقوم على استشفاف المعاني والقيم الإنسانية ، ويضعها في صيغ مبتكرة ، وصور مثيرة ، توظف فيها الألفاظ والمعاني لتؤثر في القارئ والسامع مكونة بذلك بعداً جمالياً ممتعاً ، ومدهشاً للمستقبل تشده إليها. فالأديب يختار من الواقع ما يشاء ، ويضيف ، ويصور ، ليأتي بشكل أدبي مؤثر ، ولكن هذا الإبداع لا يكون صورة طبق الأصل لأحاسيسه ، وتجاربه وانفعالاته ، فهو يقترب منها بمقدار ما تسعفه به لغته ، ومهاراته .

ولعل أصحاب الحوليات في الشعر العربي الذين كانوا ينقحونها عاماً كاملاً ، ويتذوقونها ، ثم ينشرونها بعد ذلك ، هم نموذج بيّن لصناعة الأعمال الأدبية الفنية الإبداعية . فالأديب فنان في عصره ، يتفاعل معه ، وقد يحقق فائدة محددة وقتية ، ولكن نتاجه الأدبي الفني يصبح خالداً عبر العصور إذا كان نادراً متميزاً.

ويظهر في هذه المرحلة البعد الجمالي ، وقيمه ، ويستقر العمل في مكانه متميزاً بارزاً ، متخظياً مرحلة تلبية الحاجات المادية واليومية إلى تلبية حاجات أسمى تتعلق بالروح والجمال والذوق والمتعة . "إن الإبداع الفني كمجال للثقافة الروحية ، هو المعنى الثالث لكلمة الفن وأضيق معانيها". (9)

فالإبداع الفني وفق قوانين الجمال ينتمي إلى كلمة الفن بأضيق معانيها وأكثرها تخصصاً ، وهو محتاج إلى مهارة فنية فائقة . ولذا ذهب بعض المهتمين بالدراسات الأدبية إلى اقتراح أن يقتصر مصطلح الأدب على الأدب الإبداعي فقط . (10)

المنهج الجمالي .

إن دراسة النصوص الأدبية ليس لها منهج واحد لأن النتاج الأدبي كثير ومتنوع ، وهائل ، وهو ممتد امتداد تاريخ الإنسان ، ويهمننا هنا المنهج الجمالي الذي يقوم على دراسة النصوص الأدبية وتذوقها تذوقاً جمالياً يبين قيمتها الفنية مثيراً فينا المتعة والرضا والانتعاش .

ويدمج سيد قطب المنهج الجمالي فيما أسماه المنهج الفني - المنهج المتكامل - الذي يتكون من عدة مناهج : " إذا كنا قد آثرنا 'المنهج الفني' وهو في حقيقته متكامل من منهجين أو ثلاثة؛ المنهج التأثري ، والمنهج التقريري ، والمنهج الذوقي أو الجمالي ، فإنما آثرناه لأنه أقرب المناهج إلى طبيعة العمل الأدبي ولكننا لم نقصد أن يكون هو المنهج المفرد ، فالملاحظة النفسية عنصر هام فيه ، والملاحظة التاريخية ضرورية في بعض مناحيه " . (11)

والمعروف أن الفنون والأدب يصعب تحديد كل ما تحويه من معانٍ ، وقيم وجمال ، ولا يوجد فيها قول فصل . والدراسات على أنواعها محاولات فنية تبين بعض ما تحويه . والمنهج الجمالي له سماته وقيمه وخصائصه وأحكامه ، ولكن الدراسات الفنية التطبيقية تكون أقرب إلى ترسيخ هذه القيم والسمات ، وتؤدي إلى زيادة فهمه وحسن تذوقه ، إذا قامت على أسس هذا المنهج وعرفت قضاياها وقيمه .

الجمال والفلسفة

"إن الإحساس وإدراك الجمال هو موضوع علم الجمال وعلم الجمال له ميدانه الخاص به ، فهو لا يتدخل في تحليل قواعد العمل الفني من بناء وتكوين أو تركيب ، أو في وضع إطار وإنما يختص فقط بالحكم الجمالي والتذوق الجمالي " . (12)

لا يعنى بعلم الجمال في ميدان الدراسات الأدبية ، ولكن يفاد من أفكاره في بلورة المفاهيم الجمالية في الأدب ؛ لأن علماء الجمال لهم آراء عديدة في الفن والأدب : " كان

علماء الجمال في القرن التاسع عشر يرون أن، الفن كله (قبس حسي منبثق من الفكرة)، بينما ذهبت مدرسة أخرى إلى أن (الفن قدرة على الرؤية الصافية)". (13)

وقد تأثرت الدراسات الجمالية في الأدب بالمدارس الفلسفية المتعددة ، واتجاهاتها الكثيرة، ومن ذلك ما ذكره د. محمد غنيمي هلال : " يقسم علماء الجمال الاتجاهات الفلسفية - في الأدب والفنون - إلى قسمين كبيرين ، يندرج أولهما تحت النزعة المثالية ، والثاني يسمونه الإتجاه الواقعي . وهذا التقسيم فلسفي لا أدبي ، وإن ترك آثاره في المذاهب الأدبية والنقدية الحديثة . فكان من نتيجة الفلسفة المثالية أن وجد في الأدب مذهب الفن للفن(14).

ومن آثار الفلسفة في الدراسات الجمالية وتاريخها ، وعنايتها بفكرة الجمال ما ذهب إليه 'هيجل' ، إذ حدد ثلاث مراحل مرت بها فكرة الجمال ؛ ففي المرحلة الأولى وهي مرحلة الرمزية سيطرت المادة على الفكرة ، فجاءت ضعيفة ، ويمثلها الفن الشرقي، وانتصر فيها الشكل على المضمون . وفي المرحلة الثانية وهي الكلاسيكية تعادلت المادة مع الفكرة ويمثلها الفن اليوناني ، وفيها تعادل الشكل والمضمون ، وهي مرحلة الأكتمال الفني عنده . أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الرومنتيكية ، وقد تغلبت فيها الفكرة على الصورة ، واختل التعادل بين المضمون والصورة ، ويمثل هذه المرحلة الفنون العصرية الحديثة . (15)

وقد فصل فلاسفة آخرون في قضايا فنية في العمل الأدبي ، فهذا الفيلسوف 'كانت' يذهب إلى أن هناك فرقاً بين الجمال الطبيعي والجمال الفني ، فالجمال الطبيعي : " هو الشيء الذي تتوافر له صفة الجمال ، أما الجمال الفني فهو التقديم الجميل للشيء ، سواء كان هذا الشيء نفسه جميلاً أم لا ، فقد يكن التقديم جميلاً لشيء قبيح طبيعة ، فيعد جمالاً فنياً لجمال الصور الشعرية، أو لجمال المشاعر التي يضيفها الشاعر على الشيء القبيح". (16)

يتضح مما سبق أن الفلسفة وآراء الفلاسفة في الجمال وفي الجمال الأدبي الفني تعد رافداً حقيقياً للمنهج الجمالي.

إن العمل الأدبي الإبداعي يجب أن تتوفر له شروط حتى يدخل في باب الجمالي ، ومن ذلك: " إن الجمال الفني لا تستقل به ظلال الألفاظ المفردة ، ولا إيقاعها ، إنما يدل عليه هذا ، وتدل عليه القيم التعبيرية الأخرى المكملة في النسق . " (17) فالألفاظ والصور وما يرافقها من إيقاع صوتي ، لا تشكل القيمة الجمالية للعمل الأدبي إلا إذا اقترنت بغيرها من القيم التعبيرية .

القيم الجمالية

ومن أبرز القيم الجمالية التي تجعل العمل الأدبي عملاً جمالياً يعتد به :

1- الصدق الفني .

والصدق الفني هنا لا يقصد به الصدق الأخلاقي ، بل يقصد به صدق الشعور ، وصدق التأثر بالمشاعر. (18) وليس معنى هذا أن الفن لا يقيم وزناً للغاية الأخلاقية ، أو يرفضها ، فإن كل غاية أخلاقية نافعة . (19)

ويذهب (بندتوكروتشيه) إلى أن الفنان يجب أن يكون صادقاً في تعبيره عن نفسه وفكره ، ويفرض هذا الصدق باسم الجمال ، لا باسم الخلق ، فالواجب الفني يقتضيه صدق التعبير وقوته، ولعله بهذا يلتقي مع عبد القاهر الجرجاني . (20) ويرادف الصدق الفني مصطلح الأصالة أحياناً ، لأن معناها متقاربان فهما يعنيان ما يعبر به الفنان عما في نفسه ، وهو بذلك ينفرد عن غيره ، ويكون هو نفسه ، وليس إنساناً آخر . (21)

2- الندرة .

إن ندرة العمل الفني بعد استيفائه شروطه يجعل له قيمة جمالية تميزه عن غيره من أنواع الإنتاج الإنساني ، " إن العمل الفني لكي يكون جمالياً يجب أن يكون متقدماً في جنسه ليكون رائعاً ."(22)

وتعني الندرة تفوقه على غيره من الأعمال ، وأن يكون متميزاً في النوع الذي يمثل .
" فالمتذوق والناقد يستند في حكمه ربما على المفاضلة بين هذا العمل أو ذاك ، وفي بعض الأحيان تتعقد الأمور فتصبح المفاضلة أساسها قيمة العمل من حيث ندرته ."(23)
فالندرة قيمة فنية تصبح ضرورية رئيسية أساسية إذا تعذرت المفاضلة بين عمليين أدبيين فنيين ، هذه المفاضلة التي ترجع إلى معايير شخصية متغيرة ، وليس إلى معايير موضوعية ثابتة .

ولا يدل هذا على أن الندرة ليست قيمة ثابتة للعمل الفني ، بل هي ثابتة ظاهرة ولكن تميزها على غيرها من القيم واحتلالها مكان الصدارة بينها لا يكون هو المسيطر ، فقد تقدمها قيم أخرى مع بقائها قيمة جمالية مكونة للجمال الأدبي .

3- الأسلوب الرفيع .

هو الأسلوب الفني الذي يتم به عرض المادة عرضاً فنياً جمالياً ، سواء أكانت المادة أدبية أم تاريخية أم لغوية أم غيرها ، وبذلك نستطيع القول إن الأسلوب المتميز لا تنفرد به الأعمال الأدبية وحدها بل قد يشاركها فيه غيرها ؛ " إن الأسلوب الرفيع وبراعة التأليف ، وجمال العرض يمكن أن تعتبر قيمة جمالية لكنها لا ترقى إلى مستوى القيمة الجمالية التي تتم على أساس المفاضلة ."(24)

ولقد اعتنى العرب بأساليبهم التعبيرية الفنية ، ووصلوا إلى مستوى من النضج يمكنهم من الحكم الصحيح على جمالية النص الأدبي وكان ذلك قبل نزول القرآن الكريم ، ولذا جاء التحدي القرآني لهم لأنهم يملكون قيمة فنية جمالية يستطيعون بها الحكم على جودة الأعمال الأدبية وتفوقها بل إعجازها ، وإن لم يكونوا كذلك فلا معنى للتحدي . ولذا كانت الأساليب الفنية الأدبية قيمة جمالية ثابتة راسخة ، ولكن قد يشارك الأدب غيره في هذه القيمة.

فالأسلوب الرفيع لا يختص به العمل الأدبي الفني وحده ، فقد يشاركه في ذلك العرض التاريخي أو النقدي ، أو الفقهي ، أو السياسي أو غيرها . ولذلك لا نستطيع أن نعد الأسلوب الرفيع قيمة فنية جمالية مقتصرة على الأدب وحده ، بل هو قيمة جمالية يمكن أن تتحقق في أي عمل آخر ، إذا راعى كاتبه القواعد الفنية الجمالية في كتابته.

4- العضوية

وهي قيمة جمالية ، ولكنها ليست ثابتة في كل عمل فني ، فإذا انطبقت على حال قد لا تنطبق على غيرها ؛ " إن مصطلح (الوحدة العضوية) يؤدي إلى مقابلات بيولوجية لا تتناسب مع العمل الأدبي في جميع الأحوال . " (25) ولذا رفض بعض الباحثين إدراج هذه القيمة ضمن القيم الجمالية في العمل الأدبي لما تثيره من قضايا ، ولعدم ثباتها . ومن القيم الجمالية الأدبية الأخرى التي يدور حولها الخلاف قيمتا المنفعة والفائدة ، ولا يتسع المجال لعرض الآراء فيهما . (26)

أما وجود هذه القيم على أنواعها في العمل الأدبي الفني ففيه آراء عديدة ، إذ يراها بعضهم كامنة في ذاتها ، ويذهب غيرهم إلى وجودها في المشاهد والقارئ ، ويرى آخرون أن وجودها مشترك بين القارئ والموضوع أو المشاهد والمشاهد ، ومن ذلك : - " وتختلف الآراء

حول وجود القيمة الجمالية فيراها البعض كامنة في ذاتها ، أي لها وجودها الخاص بها ، الأمر الذي يضيفي الجمال على موضوع بذاته . بينما يرى البعض أن القيمة لا وجود لها إلا في المشاهد حيث أنه هو القادر على خلق القيمة ، ولا وجود لها إلا بوجوده هو . كما أننا نستطيع أن نقول بأن البعض يرى أن وجود هذه القيمة ما هي إلا اشتراك بين المشاهد والموضوع في تواجدهما . " (27)

قضايا المنهج الجمالي

يشير المنهج الجمالي في الدراسات الإنسانية بعامة وفي الدراسات الأدبية بخاصة العديد من القضايا الرئيسة التي تشكل عموداً فقرياً له ، وقد عرض لها الكثير من الأدباء والنقاد ، والشعراء ، والفلاسفة ، والمؤرخين عبر العصور ، وذاعت آراؤهم النظرية والعملية ، وحاول بعضهم تطبيقها ميدانياً ، واكتفى آخرون بالجانب النظري ، وألحقت آراء أخرى بالفلسفة . ومن أبرز القضايا التي عرض لها المنهج الجمالي ؛ المنفعة ، والشكل والمضمون .

أ. المنفعة

شغل موضوع المنفعة في العمل الأدبي الفلاسفة والأدباء والنقاد، ومؤرخي الأدب ودارسيه، وكان من القضايا الجمالية في مناهجهم كلها ، وكثرت الآراء فيه والمفردات التي تعبر عنه . " لقد وجد الفن مع وجود الإنسان على وجه الأرض يعني الفن نوعاً من الترف الجميل ، شيئاً نستمتع به.....أو شيئاً نتحلى به " (28)

فالفن وما يرتبط به من استمتاع ، وما يدل عليه من مظاهر الترف موجود مع وجود الإنسان ، ولذا نشط الباحثون في تعريف المتعة ، وتحديد مواطن وجودها وأشكالها .

بذلت جهود لتحديد معنى (المنفعة) ، واكتشاف ذلك الجانب الذي يحقق الإمتاع في الفن ، أو الذي يمكن أن يوصف بأنه (ممتع)". (29) وظهر أثر الفلاسفة في هذا الموضوع ومنهم أرسطو في كتابه (فن الشعر) ، وهوراس في (فن الشعر) أيضاً . " أما مقولة (هوراس) فقد كان لها صدى بعيداً في الدراسات التي استهدفت تفصيل علاقة الأدب بالمعرفة ، والخصائص الجمالية التي تحقق جانب المنفعة في العمل الفني." (30) وفي القرن السابع عشر عاد لأراء أرسطو ومقولاته ، رواؤها القديم ، وظهر إصرار واضح على الوظيفة الأخلاقية للأدب ، فصارت وظيفة الفنون هي الإمتاع في حدود القواعد والتقاليد المرعية." (31)

وأكد باحثون آخرون على أهمية توافر المنفعة والبهجة في الإحساس الجمالي "إن غاية الإحساس الجمالي هو حدوث نوع من البهجة . " (32) والباحثون المحدثون يعرفون أن المتعة يجب أن تتوافر في النص الأدبي الجمالي ، " إن الباحث الأدبي المعاصر يدرك في يسر أن (فائدة الأدب) ليست بحاجة إلى الحجج التي تقدم بها المدافعون عن الشعر أو الأدب في عصور سابقة . والمتعة التي يحصل عليها المتلقي من الأدب هي الآن موضع اتفاق . " (33)

ب. المضمون والشكل

شغلت قضية المضمون والشكل العلماء والأدباء والنقاد والفلاسفة منذ نشوء الفن ، وما زالت . إذ إنهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، امتزاجاً ، واتحاداً ، فإذا فصل أحدهما عن الآخر فقد النص قيمته الفنية الجمالية .

وكان للفلاسفة وعلماء الجمال في هذا الميدان آثارهم ، وقد انتقل هذا الأثر إلى المناهج الأدبية ، وهو قائم إلى يومنا هذا . " ومسألة المادة والشكل ، أو المضمون والشكل ، استنفدت كثيراً من جهد الباحثين في علم الجمال ، فهل ينحصر الجمال في المضمون وحده ، أم في الشكل وحده ، أم في المضمون والشكل كليهما ؟ " (34)

ومن علماء الجمال الذين نقف عند رأيهم في هذه القضية ، عالم الجمال الإيطالي (بندتو كروتشييه) ، "وأقرب الآراء الجمالية إلى الإدراك العربي ما كان عند (بندتو كروتشييه) من علماء الجمال الإيطاليين ، حين يقصد بالشكل قوة التعبير والقدرة الممثلة للأشياء ، أو الصورة لها ، بتكوين الإحساسات والمشاعر في خلق الفنان و(بندتو كروتشييه) يحدد المضمون بأنه الأحاسيس ، أو الناحية الإنفعالية قبل صقلها صقلاً جمالياً ، أما الشكل فهو صقلها وإبرازها في تعبير عن طريق النشاط الفكري . " (35)

وهو لا يحصر الجمال في المضمون ، أو في مجموع الشكل والمضمون ، بل يحصره في الشكل ولا شيء سواه ، إذ لا قيمة عنده للكلمات المفردة من حيث هي مادة التعبير ، ولا من حيث الجرس والصوت منفصلين عن المعنى والصورة . (36)

ويحذر محمد غنيمي هلال من عدم فهم رأي كروتشييه فهماً سليماً فيقول موضحاً :
" وليس معنى هذا أن المضمون فضلة ، إنما هو نقطة البدء الضرورية للتعبير ، ولكن ليس هناك من فاصل بين خصائص المضمون ، وخصائص التعبير ، بحيث يمكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر ، قد يكون المضمون هو ما يمكن تحويله إلى شكل ، ولكن ما لم يوضع في الشكل ، لا تكون له صفات محدودة ، فلا نعلم عنه شيئاً ، ولا يصير مضموناً جمالياً قبل ، وإنما يصير كذلك بعد وضعه عملاً في تلك الصورة . " (37) ويعد كروتشييه المضمون نقطة

البدء الضرورية للعمل التعبيري ، ولكن لا يعترف بوجوده جمالياً إلا بعد وضعه في الشكل التعبيري المناسب .

أما الفيلسوف الألماني (كانت) فقد حصر الجمال في الشكل، وجعل الجمال ذاتياً في إدراكه ، ورأى أن الجمال الحق يتجلى في صورته المحضة التي لا مضمون لها، إذ هو غاية في ذاته. (38)

ويرى الواقعيون في قضية الشكل والمضمون رأياً آخر ، فيقولون : " إن القانون الجمالي الأساسي في الأعمال الفنية هو قانون التوافق بين مبادئ نمذجة الحياة نمذجة إبداعية - تعبيرية من جهة، والمضمون الايديولوجي الذي يجد في هذه المبادئ تنظيمًا له ، ويكشف فيها عن دلالاته ، وأهميته العامة من جهة أخرى . وليس المقصود هنا هو التوافق بين الشكل والمضمون عموماً ، بل التوافق بين شكل الفن الخصوصي ، وموضوعه الخصوصي . " (39)

إنهم يرون أن التوافق الإبداعي في قانون الجمال الأساسي يقوم على الإبداع النموذجي في التعبير ، والمحتوى الفكري الايديولوجي الذي ينظم ذلك الإبداع التعبيري ويبين أهميته العامة ، وهو يربط ربطاً دقيقاً بين الإبداع التعبيري والايديولوجية الفكرية ، ويجعل الأخيرة هي المسيطرة على النموذج الجمالي .

ومن يؤيدون عدم الفصل بين الشكل والمضمون ، أو اللفظ والمعنى ، أو الشعور والتعبير، سيد قطب ، إذ يقول : " إن هناك صعوبة مادية في تقسيم العمل الأدبي إلى عناصر : لفظ ، ومعنى ، أو شعور وتعبير ، فالقيم الشعورية ، والقيم التعبيرية ، كلتاهما وحدة لا انفصام لها في العمل الأدبي ، وليست الصورة التعبيرية إلا ثمرة للانفعال بالتجربة الشعورية ، وليست القيمة الشعورية إلا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره ، وأن تنقله إلى مشاعر الآخرين . " (40)

وذهب باحثون آخرون إلى أبعد مما ذهب إليه سيد قطب في مناصرة وحدة الشكل والمضمون ، عندما جعلوا تحليل العمل الأدبي إلى عناصره وهماً لا يفيد العمل الأدبي في شيء ، ورأوا أن النظرة الشاملة إلى العمل الفني في مجموعه هي التي تمثل المنهج السليم في التعامل مع النص الأدبي .(41)

الحكم الجمالي

● مفهوم الحكم الجمالي وأهميته :

يحتاج إصدار الأحكام على الأعمال الفنية الجمالية إلى معايير تتمثل بوجه عام في الدراية والتدريب ، وتحديد وجهة النظر التي يقوم عليها الحكم الجمالي ، وإلا أصبحت هذه الأحكام أهواء شخصية ، يصدرها من كانت معرفته بالمعايير الجمالية سطحية . "إن المعرفة عن الفن لا تقف حدودها عند ملاحظة الأعمال الفنية ، وروايتها ، ومعرفة أسمائها ، ومسمياتها ، وإنما لا بد للفرد من أن يعرف ما يحيط بهذه الأعمال من حقائق ومعلومات والمعرفة عن الفن تحتاج جهداً متواصلاً" .(42)

ويختلف الحكم الجمالي من شعب إلى شعب ، بين كل عصر وعصر ، تبعاً لمحددات عديدة ترجع إلى ثقافة الشعوب وتذوقها ، وعلمها ، وجهدها ، وتوجهاتها الفكرية ، والنفسية ، وما يحيط بها من ظروف معيشية متغيرة .

ولما كان الفن هو الذي يعبر عن النفوس ، والقدرات الفنية ، بات تقويمه أمراً لازماً ، ويحتاج هذا التقويم إلى معايير جمالية تناسب العمل الفني الجمالي . "إن الفن وما يتسم به من قدرة تصويرية خصوصية هو المجال الوحيد من مجالات الوعي الذي يجري تقويم منتجاته دائماً وبالضرورة بمعايير جمالية بالإضافة إلى المعايير التقويمية الأخرى" .(43)

وقد كان الحكم الجمالي ، ومعايير ، وخصائصه موطن بحث مستفيض عبر الأجيال ، عرض له الأدباء والنقاد والفلاسفة ، ومؤرخو الأدب ومنظروه ، ونقاد ، فهذا الفيلسوف الألماني (كانت 1724-1804) يرى؛ " أن الحكم الجمالي يمتاز بخصائص تفرق ما بينه وبين الحكم العقلي والخلقي " (44)

وقد لخص د. محمد غنيمي هلال آراء (كانت) في خصائص الحكم الجمالي ، ومصدره ، وعلاقته بالذوق ، وكم هذا الحكم وعموميته ، وعلاقة الوسيلة بالغاية، وذاتية الحكم وموضوعيته ، وعالميته .(45)

إن النقد الأدبي هو حكم على العمل الأدبي ، يهدف إلى خدمته ، ويوجه الأدباء إلى النواحي المطلوبة بمقاييس ثابتة ، ليدفعهم إلى نتاج متفوق تتوافر له شروط الإبداع الجمالي . يقول (إليوت) :- "إن النقد ليس غاية في ذاته ، وإنما هو وسيلة لكي تفهم الآثار الأدبية فهماً أكبر ، وتتذوق تذوقاً أعمق". (46)

وإصدار الحكم الجمالي يواجه مشاكل عديدة تتعلق بذاتية صاحب الحكم التي ترجع إلى تذوقه للنص الأدبي، أو موضوعية الحكم وصدقته، " إن الحكم الجمالي قد ينصب على جمال في الشيء ذاته فيكون موضوعياً ، وقد ينصب على الشعور الممتد فيه فيعد ذاتياً". (47) ومن المشاكل التي حاول الباحثون حلها في الحكم الجمالي : " أيهما ترى الصحيح ، أن الجمال في الأشياء ذاتها مستقلاً عنها ، أم أنه فينا ونحن الذين نخلعه على الأشياء". (48) فالحكم الجمالي قد يكون ذاتياً شخصياً ، وعندها لا يراه كثير من الناس لأنهم لا يفكرون فيه ، ولا يهتمهم وجوده . وقد يكون موضوعياً ، فكيف يستطيع الناس رؤية هذا الجمال وهم لا يعرفون الحدود الموضوعية للجمال في الفن ، أو الشيء الجميل؟. ولعل هذا ما

دفع (أفلوطين) إلى اشتراط تعادل الرائي والمرئي، أو تناسبهما على الأقل حتى يمكن رؤية الجمال. (49)

ومن المشاكل والمزالق الأخرى التي تواجه الحكم الجمالي على العمل الفني ، تغير هذا الحكم بين باحث وآخر ، ولذا لا بد من معرفة أسباب هذا التغير ، والتبدل في الأحكام . وقد حاول د. عز الدين إسماعيل حصر هذه المشكلة وتحديدتها فقال: " قد أفحص العمل الأدبي وأحكم عليه بأنه جميل لأنني لمست فيه صفات من شأنها أن تجعله جميلاً ، وهذا هو الحكم الجمالي بمعناه الصحيح . وقد أحكم عليه بأنه جميل لأنه أثار في نفسي شعوراً معيناً ، ولكن هذا الحكم ليس جمالياً بالمعنى الدقيق، هو جمالي بالمعنى العام ، واحتمال الخطأ فيه كبير ، لأنه يترك العمل ذاته ويتحدث عن شيء آخر ، فهو لا يحدد صفات الجمال في الجميل ويعرفها ، إنما يرى العمل كله بكل صفاته " . (50)

فالحكم الجمالي محتاج إلى تحديد صفات أساسية مشتركة في العمل الأدبي الفني للقول بأنه جمالي إذا توافرت له ، وترك الأمر للأذواق والإحساسات الفردية في الأحكام الجمالية يجعلها متنوعة ، متعددة ، متعارضة أحياناً .

● أنواعه الحكم الجمالي :

تصدر الأحكام الجمالية من الذوق وحده ، أو من الذات ، أو تكون أحكاماً موضوعية ، وسنعرض لكل نوع من هذه الأنواع لنبين طبيعته .

أ- الأحكام الذوقية

وصف د. عز الدين إسماعيل في كتابه الأسس الجمالية في النقد الأدبي الذوق بقوله :
"إن أحسن ما يوصف به الذوق هو أنه شخصي . والشخصي ليس موضوعياً ، وليس
ذاتياً ، ولكنه خليط من الاثنين " (51).

والشافع أن أذواق الناس مختلفة ، ومتعددة ، ومتنوعة ، لذا فإن الأحكام الجمالية التي
تقوم على الذوق يجب أن تتصف بما تتصف به أذواق الناس ، رغم الصفات المحددة للعمل
الأدبي الفني الواحد، ولذا فإن الأذواق وحدها لا تصلح لإصدار أحكام صحيحة على العمل
الفني، ولكنها موجودة ، ومنتشرة وشائعة .

وينكر د. عز الدين إسماعيل المبالغة في اختلاف الأذواق فيقول : " ونحب هنا ان ننكر
تلك المبالغة الواهمة في اختلاف الأذواق ؛ فقد درب الناس على أن يتمسكوا بهذا الاختلاف
ويبالغوا فيه ، في حين نجدهم يتراجعون أمام المعرفة العقلية ، أو العلمية ، ويتصورون فيها لوناً
من الثبات عظيماً " (52).

ويبدو أن الأمر ليس كما ذهب إليه د. عز الدين ، فما استشهد به من الأحكام
الثابتة في الأمور العلمية والعقلية لا تصح مقارنته بالأحكام الجمالية القائمة على الذوق ،
لأن قواعد العلم وأسس الموضوعية ثابتة ولا تتأثر هذه بوجهات النظر في الحياة ، أما الأمور
العقلية فهي ثابتة نسبياً إذ أنها تتأثر بعقائد الشعوب ونظرتها إلى الحياة .

والأحكام الجمالية الذوقية متسعة الجنبات ، متلاطمة الأمواج ، متعددة الأنواع، كثيرة
الخلجان والشواطئ والشعاب ، لتعلقها بالأفراد في خصوصياتهم قبل الشعوب والأمم في
ثقافتها وعقائدها . وإن اختلاف القدرة على الفهم والإحساس بين الأفراد في بيئة واحدة
يورث تفاوتاً في الاحكام ، فكيف إذا أضفنا إلى ذلك الاختلافات الخارجية الأخرى الكثيرة
.

ب- الذاتية :

يقصد بالذاتية الأحكام الجمالية التي يصدرها الفرد على العمل الفني ، ويذهب الفيلسوف الألماني (كانت) إلى أن الحكم الجمالي الذاتي ، فردي صادر عن وعي جمالي ، إذ أن من خواص الجمال عنده أنه يدرك إدراكاً ذاتياً ابتداءً ، ولكنه موضوعي من ناحية التصور ، لأن مصدر الشعور بالرضا عن العمل الفني ذاتي ، دون حاجة إلى أفكار وأقيسه يتطلبها الحكم الموضوعي . ولكن الحكم الذاتي لا يفي بالغرض من إصدار الأحكام الجمالية : " فالحكم الذاتي ليس حكماً جمالياً بالمعنى الصحيح (أي لا ينصب على جمال موضوعي) بقدر ما هو مفسر لحالة المتلقي " . (53)

ويرى د. عز الدين إسماعيل أن الحكم الجمالي يلتقي فيه جمالان؛ الذاتي والموضوعي وقد حاول تحديد الأسس الموضوعية ، والأسس الذاتية ، كي يجعل الأحكام الجمالية صحيحة صادقة قدر الإمكان فقال : "..... هناك إذن أسس موضوعية في الحكم الجمالي وهي تتصل بالصورة ، كما أن هناك أسساً ذاتية تتصل بالموضوع ، وهذه الأسس الموضوعية صفات مستودعة في العمل الفني ولازمة لجماله ، وتلك الأسس الذاتية هي حالات في نفس المتذوق ، أو اعتبارات خاصة خارجة عن العمل ذاته " . (54)

ونستطيع القول إن الذاتية في الأحكام الجمالية مرتبطة أشد الارتباط بالذوق الفردي ، ولا تستقيم إلا إذا اقترنت بقواعد موضوعية تبين الصفات الجمالية التي تشترك الأذواق كلها في الاتفاق على جمالها .

ج- الموضوعية :

كثير الحديث عن الموضوعية في إصدار الأحكام الجمالية على العمل الأدبي الفني ، وارتبط أواناً بالذوق الخاص ، وأحياناً بالشكل الفني ، وتجاوز مرات الذوق والذات ، ولكنه

بات ضرورياً لبيان الحد الأدنى من الصفات الجمالية المشتركة التي يمكن الرجوع إليها عند إصدار الأحكام الجمالية الصحيحة .

وإذا كانت القواعد الموضوعية التي يسعى الباحثون لتحديدتها تنصب على محتوى العمل الفني ، أو شكله ، أو موضوعه ، فإن هناك جانباً آخر يستحق أن يشار إليه وهو إصدار الحكم على العبارة الفنية ، ودلالاتها المعنوية ، وما فيها من إيقاع وظلال ، " وحين نحكم على قيمة العمل الأدبي من خلال العبارة لا يجوز أن نكتفي بدلالاتها المعنوية ، فهذه عنصر واحد من عناصر دلالتها ، فلا بد أن نضم إليها عنصري الإيقاع والظلال ، فهي في مجموعها تدل على القيمة الكاملة لهذا العمل . وكثيراً ما تكون الدلالة المعنوية هي أصغر عنصر في العمل الأدبي ، فإذا نظرنا إليها وحدها لم نجد إلا عملاً ضئيلاً قيمته ضئيلة " (55).

الفنون الأدبية والمنهج الجمالي :

يُقسم التعبير الأدبي إلى قسمين رئيسيين هما ؛ فنون الأدب ، وفنون القول : " فالأعمال التي يستهدف مؤلفوها اقناعنا بطريقة مباشرة بعمل خارجي محدد هي فنون القول . وهي تختلف عن الشعر وفنون الأدب (الملحمة والمسرحية ، والرواية والقصة) . فهذه الفنون تؤثر فينا بطريقة أكثر براعة من فنون القول (كالخطابة) . فالفن يفرض على العمل الأدبي إطاراً يتعد بما يصرح به عن واقع الحياة اليومية ، وهذا يتيح لنا أن ندخل في تحليلنا لدلالات الألفاظ بعض المفاهيم الجمالية المعروفة من التأمل الخالص غير المرتبط بغاية من الغايات ، ومثل الصياغة المبتكرة والبعد الجمالي " (56).

ولا يعني هذا أن فنون القول مجردة من القيم الجمالية ، فالأدب بأنواعه وألوانه مرتبط بها على تفاوت في ذلك ، ولكن توافرها في فنون الأدب أكثر من توافرها في فنون القول ، وهذا يتأثر بالعصر ، والظروف التي يعيشها الأدب .

" فالوظيفة الجمالية يمكن أن تتسع حتى تفرغ على كل الأحكام اللغوية ، ففي مراحل مختلفة من تاريخ الأدب كانت الرسائل والتوقيعات والوصايا ، ومعظم الأدب الخطابي والنثر الفني عموماً شكلاً فنياً . بينما أدى الاتجاه الحديث الذي يحرص على عدم الخلط بين الأنواع الأدبية إلى تضيق ملحوظ في الوظيفة الجمالية " (57).

وعندما يعرض المنهج الجمالي للفنون الأدبية يركز على الجانب الإبداعي ؛ مضموناً ، ومحتوى ، وموضوعاً ، مواجهاً كل فن بنظرة خاصة تناسب طبيعته ، متعمقاً في داخله وفق الظروف والمعطيات التي تواتيه .

القصة :

القصة أكثر أنواع الأدب انتشاراً ووجوداً وتأثيراً ، وتوصف بأنها : " مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب ، وهي تتناول حادثة واحدة ، أو حوادث عدة ، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة ، وتباین أساليب عيشها وتصريفاتها في الحياة على غرار ما تباین حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثير " (58).

وللقصة أنواعها وأركانها ، ومراحل بنائها ، وألوانها في الصياغة والإخراج ، وهو ما لا يعني هنا ، وهناك تعريفات أخرى للقصة منها : " القصة هي التعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن ، ممثلة في الحوادث الخارجية ، والمشاعر الداخلية ، بفارق واحد ،

هو أن الحياة لا تبدأ من نقطة معينة ، ولا تنتهي إلى نقطة معينة..... أما القصة فتبدأ وتنتهي في حدود زمنية معينة ، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود". (59)

يذهب التعريفان المذكوران إلى ربط القصة بالحياة على تفاوت في مقدار ما يؤخذ منها ، وما يضاف إليها ، مما يضعها في باب القصص الواقعية أو القصص الخيالية أو أي نوع غير ذلك ، ولكل نوع من هذه القصص منحى معين ؛ بناءً ، وهدفًا ، وأسلوبًا ، وطولًا وقصرًا ، إلى مظاهر الاختلاف الأخرى التي ترجع إلى ثقافة الباحث وأسلوبه.

نعني في هذا المجال بالجانب الجمالي في القصة المتمثل في تحقيق المتعة للقارئ، وهي متفاوتة من شخص لآخر وفق اعتبارات عديدة ؛ " ولعل تنوع عقليات القراء ، أو تباين تجاربهم في الحياة ، أو اختلاف أمزجتهم هي العناصر التي تحدد مصدر المتعة في العمل الأدبي. فالقصة مرآة متعددة السطوح ، وكل قارئ يلقي بناظره على السطح الذي يعكس صورته بأمانة ودقة ، أولعلها كالبناء الضخم ذي الكوى العديدة ، ولكل قارئ أن يُطل من الكوة التي يختارها ذوقه ، ومزاجه ، وطبيعته ". (60)

وإلى جانب ما تحققه القصة من متعة وتذوق فإنها أيضاً توجد لذة للعمل الأدبي عند القارئ ، "إيصال اللذة قد يكون الغاية المباشرة لعمل أدبي غير موزون كالقصص مثلاً". (61)

ومصادر المتعة ، والتذوق ، واللذة ، في القصة متعددة ، وهي تقوم على أسلوب العرض ، ومواطنه المتعددة من عقدة ، وتشويق ، ولون ، وسببيه ترابط الحوادث والشخصيات التي بناها القاص ، وخط سيرها ، واكتشافها . (62)

فالإبداع في القصة يقوم على عدة عوامل ، " عظمة الموضوع وحدها لا تكفي لجعل القصة عظيمة إذ لا بد لها زيادة على ذلك من يد صناع تستطيع أن تبرز خصائصها وتظهر صفاتها الكامنة على أحسن وجه ، ومعنى هذا أن الأمر يتوقف على عملية الإبداع ، أو الخلق في القصة ، وما يرافقها من موهبة طبيعية ، وبراعة فنية " (63).

إن القصة وما يرتبط بها من تعريفات وما تتضمنه من أفكار وأحداث ، وما تسعى إليه من أهداف ، وما يتعلق بتاريخها وتطورها ، كل ذلك لا يعنينا هنا ، وما نريد قوله ، إنها عمل فني يظهر فيه الإبداع وهذا الإبداع يأتي متفاوتاً ، وألحكم عليه يقوم على الذوق الفردي ، والأحكام التي يصدرها النقاد وفق قواعد جمالية محددة.

ولما كان حكم الذوق الفردي هدفه التأثير بالمتعة واللذة ومقدار تحققهما في القصة ، فإن حكم النقاد الجمالي هدفه رسم الطريق الواضح للناشئة من القصص للسير عليه ، واختيار ما يناسب قدراتهم ويحقق أهدافهم ، وبذلك يكون المنهج الجمالي في دراسة القصة قد حقق أهدافاً عدة .

التمثيلية :

- أما التمثيلية فإنها مقيدة بقيود لا تسمح لها بأن تؤدي ما تؤديه القصة ، فهي مقيدة من حيث طولها ، وأحداثها ، ولغتها ، ليناسب ذلك كله أدوار الممثلين والجمهور . وعامل الزمن فيها يشكل بعداً رئيساً لأن وقت الممثل والمتفرج محدود ، وهذا يجعل القيم الجمالية فيها قليلة بل نادرة .

الأقصوصة :

تختلف الأقصوصة عن القصة ليس في الحجم أو الحوادث ، وإنما في أمور منها : "الأقصوصة تدور على محور واحد في خط سير واحد ، ولا تشغل من حياة أشخاصها إلا

فترة محددة ، أو حادثة خاصة ، أو حالة شعورية معينة ، ولا تقبل التشعب والإستطراد إلى ملابسات كل حادث ، وظروف كل شخصية ، إذا كان ذلك يوجه النظر بعيداً عن الشخصية الأساسية ، أو الحالة الأساسية " (64).

ويلتقي سيد قطب بهذا التعريف للأقصوصة محمد يوسف نجم الذي يقول عنها : " القصاصة تتناول قطاعاً أو شريحة أو موقفاً من الحياة فالكاتب فيها لا يدخل في تفاصيل ، ويعتمد على الإيحاء في المقام الأول " (65).

فالتصوير، والإيحاء ، والموقف المحدد ، وعدم الإستطراد والتفصيل ، هي المقومات الأساسية للأقصوصة ، ويكمن الجمال فيها فيما تقدم، وفي طريقة العرض القوية الموحية التي يجب ان تتصف بها الأقصوصة . ويقول سيد قطب في هذا : " ولأن الأقصوصة تعتمد على قوة الإيحاء والتصوير قبل أن تعتمد على الحادثة..... كان من الضروري أن تتبع طريقة أداء قوية موحية منذ اللحظات الأولى ، وأن تعتمد على تعبير لفظي حافل بالصور والظلال والإيقاع، كالشعر ، لأن الفرصة التي أمامها للإيحاء محدودة " (66).

فالمقوم الرئيس للأقصوصة هو الإيحاء الذي يعتمد على قوة العبارة ودقتها وسلامتها وتأثيرها ، وهذا هو جانب الإبداع الفني الجمالي فيها ، وهو يجعلها تقف في الصف الأول من ألوان الأدب .

فالأقصوصة هي اللون الأدبي الذي دخل ميدان الإبداع الفني الجمالي في القرن العشرين ، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً جعلها تزاحم غيرها من الفنون الأدبية النثرية لما تتحلى به من أسس فنية وقواعد جمالية .

المقالة .

انتشرت المقالة الصحفية وغطت الصحف والمجلات وهذه تختلف عن المقالة الأدبية التي حددها د. محمد يوسف نجم بقوله: "إن المقالة الأدبية قطعة نثرية محددة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب. وهذا التعريف ينطبق على المقالة بمعناها الفني الضيق". (67)

ويصف سيد قطب المقالة بقوله: "إنها تشرح فكرة وتجمع لها الأسانيد، وتعتاض عن اللفظ المصور باللفظ المجرد، وتغني فيها المعاني المجردة عن الصور والظلال في معظم الأحوال. ومثلها هو سائر ما نكتبه من بحوث قصيرة حول مسألة واحدة من المسائل السياسية أو الاجتماعية أو الفلسفية، فهي بحث قصير". (68) ولذا فإن المقالة بأنواعها تكاد تفقد مكانتها في الأدب الإبداعي الجمالي، لأنها لا تقوم على مخاطبة الوجدان والعاطفة والذوق، ولا تثير المتعة واللذة، بل تركز على إيجاد القناعات العقلية، ولعل هذا هو الذي دفع د. محمد يوسف نجم إلى إخراجها من الفنون الأدبية الإبداعية، إذ يقول عنها في مقدمة كتابه (فن المقالة): "إن المقالة لم تعد في هذا القرن فناً من الفنون الأدبية التي تتجلى فيها قدرة الأديب على الإبداع، إذ تحولت إلى آراء سريعة في يد الصحافة، أو غدت وسيلة من وسائل الباحث يعرض فيها رأياً في موضوعه، أو يبسط نتيجة من النتائج التي توصل إليها خلال دراساته، مما لا يمتد ويتفرع ليشغل كتاباً بكامله. ولذا أصبح البحث في فن المقالة اليوم لا يدخل في نطاق دراسة النثر الفني، بل أصبحت قواعده وشروطه أدخل في قواعد المباحث العلمية". (69)

البحث والخاطرة والسيرة.

يقوم البحث بنوعيه الطويل والقصير على عرض الأفكار ومعالجتها وإثبات صحتها أو دحضها ، وتتعاون فصول البحث الطويل لإبراز الهدف الرئيس ، وهذا كله لا يسمح للقيم الجمالية بالظهور ، ويصدر سيد قطب حكمه على هذا اللون من الأدب بقوله : "والبحث طويلاً أو قصيراً يقف في آخر صفوف الأعمال الأدبية، ويكاد ينسلخ منها". (70) وتدخل الخاطرة الأدبية في الأعمال الجمالية بصورة أوضح مما هو موجود في المقالة والبحث ، وذلك لأنها تعتمد على تجربة شعورية انفعالية ، وتستخدم صوراً ذهنية معبرة بألفاظ موحية ، فتقترب بذلك من بعض القصائد الشعرية .

أما التراجم والسير فهي سرد تاريخي في مجملها ، وقليل منها ما يمكن إدراجه في باب الفنون الأدبية ، إذ يشترط له أن يشمل عنصرين أساسيين حتى يندرج في ميدان هذه الفنون ، هما التجربة الشعورية ، والعبارة الموحية عن هذه التجربة ، ويقول سيد قطب في هذا : " فإذا حلت الترجمة من هذين العنصرين ، أو من أحدهما استحالت سيرة ، أو تاريخاً بعيداً عن عالم الأدب " (71). فإذا صيغت الترجمة بشكل قصة ، وظهر فيها عنصر الخيال بشكل واضح وفعال، وتحركت حوادث الماضي فيها بشكل حي ، يمكن أن تدرج في باب الأعمال الأدبية الفنية .

ونستطيع القول بعد هذا كله أن الجمال الفني والإبداع محصور في عدد محدد من الفنون النثرية ، تقف القصة والاقصوصة في المقدمة ، ونلتمس آثار هذا الإبداع في الخواطر والقليل من التراجم الأدبية ، وتكاد الأنواع الأدبية النثرية الأخرى من تمثيلات ومقالات ، وبحوث بأنواعها ، وسير وتراجم تخلو من الإبداع الجمالي .

الشعر:

تتسع الوظيفة الجمالية أحياناً لتشمل كل الأحكام اللغوية والأعمال الأدبية شعرها ونثرها ، ولكن فنون الأدب بعامة والشعر بخاصة تؤثر فينا ، وتحقق الوظيفة الجمالية بشكل أفضل وتترك أثراً أعمق ، وتعزز بعض المفاهيم الجمالية من تأمل خالص، وصياغات مبتكرة ودلالات جديدة للألفاظ ، وموسيقى مستساغة. وقد تضيق هذه الوظيفة الجمالية ضيقاً لا يسمح بشمول كثر من ألوان الأدب فتقتصر على أجود الشعر وأصناف محددة من النثر .

(72)

" كانت العرب تعجب بالبراعة اللغوية وتستمتع بها إلى أقصى حد ، كما كانت لا تأخذ الكثير مما يقوله شعراؤها مأخذ الجد ، ثم اكتفت بالمتعة التي يثيرها الشعر فيهم ، بالإضافة إلى المنفعة الثانوية التي يجدونها في الإشادة بالمآثر ، وفي التغني بالقيم التي يعتزون بها من كرم ومروءة ، ونجدة ، وشجاعة " (73).

يقوم الشعر على الإبداع والجمال الفني كي يكون مؤثراً ، فهو تركيب إبداعي ، والإيقاع الموسيقي لازم لإظهار ذلك ، فهو ممتع للعقل ، وللدوق وللنفس " (74).

سبق الشعر الغنائي في الأدب العربي غيره من الأنواع الأدبية الأخرى شعراً ونثراً ، ولذا انحصرت الدراسات الأدبية في فترة طويلة فيه وحده ، وركزت في مرحلة من مراحلها على الصورة الشعرية ، وجماليات التشبيه والاستعارة والمجاز دون غيرها . واقتصر الأمر في الشعر على حدين ؛ أحدهما الإيضاح الحسي ، أو الترابط الحسي والجمالي الذي يصل الشعر بالموسيقى والتصوير والآخر هو التصوير أو الاستخدام المجازي . (75)

يقول د. محمد غنيمي هلال : " فالشعر الغنائي له السبق على غيره من أنواع الشعر الموضوعي ، والحكم الوحيد فيه الذوق لا الفكر ذلك أن موضوع الذوق هو الجمال وأقوى

عناصر الجمال في الشعر هو الموسيقى الكلامية ، لأنها طريق السمو بالروح وأعظم سبيل للإيجاء ، وللتعبير عما يعجز التعبير عنه " . (76)

وللموسيقى والإيقاع في الشعر أثر في نشأته ، إذ أنه نتيجة قيام الشعر عليهما ، كان أول أنواع الفنون الأدبية ظهوراً ، وأقدمها تاريخاً ، ويقول سيد قطب في هذا: "..... لأن الإيقاع المنغم ، المقسم في الشعر يجعله مصاحباً للتعبير الجسدي بالرقص عن الإنفعالات الحسية ، كما يجعله أقدر على تلبية التعبير الوجداني بالغناء فإذا قصرنا المجال على الأدب العربي توقعنا أن يكون الشعر قد سبق النثر الفني ، فلقد وجدت القصيدة المكتملة الناضجة ، بينما كان النثر الفني في خطواته يحبو " . (77)

المصادر والمراجع وفق ورودها في النص

- 1- انظر نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية د. عبد المنعم إسماعيل، ج 1 ص 21 ط 1 1981/1410 م مكتبة الفلاح - الكويت .
- 2- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتسش ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، مراجعة د. إحسان عباس ، ص 16 .
- 3- نظرية الأدب ص 21 .
- 4- نظرية الأدب ص 66 .
- 5- النقد الأبي الحديث ص 313 .
- 6- الجمالي والفني ، غنيادي بوسبيلوف ، ترجمة عدنان جاموس ص 13 ، وزارة الثقافة ، دمشق 1991 م .
- 7- المرجع السابق ص 304 .
- 8- انظر نظرية الأدب ص 60 .
- 9- الجمالي والفني ص 215 .
- 10- نظرية الأدب ص 27 .
- 11- النقد الأدبي : أصوله و مناهجه - ص 225 .
- 12- الفن والتوافق الجمالي ص 27 ، ص 29 .
- 13- نظرية الأدب ص 33 .
- 14- النقد الأدبي الحديث ص 291 .
- 15- النقد الأدبي الحديث ص 310 .
- 16- النقد الأدبي الحديث ص 355 .
- 17- النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ص 72 .
- 18- انظر المرجع السابق ص 32 .
- 19- انظر الأسس الجمالية في النقد العربي د. عز الدين إسماعيل ص 89 ، ط 3 1986 م . دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد .
- 20- انظر النقد الأدبي الحديث ص 289 .
- 21- انظر المرجع السابق ص 307 .
- 22- الجمالي والفني ص 113 .
- 23- الفن والتوافق الجمالي ص 33 .
- 24- نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية ص 26 .
- 25- المرجع السابق ص 35 .
- 26- انظر المرجع السابق ص 58 .
- 27- الفن والتوافق الجمالي ص 33 .
- 28- المرجع السابق ص 11 .
- 29- نظرية الأدب ص 15 .

-
- 30- نظرية الأدب ص14 .
- 31- المرجع السابق ص15 .
- 32- الفن والتوافق الجمالي ص 28 .
- 33- نظرية الأدب ص57 .
- 34- النقد الأدبي الحديث ص287 .
- 35- المرجع السابق ص288 .
- 36- انظر المرجع السابق ص288 .
- 37- المرجع السابق ص288 .
- 38- المرجع السابق ص304 .
- 39- الجمالي والفني ص 467 ، ص468 .
- 40- النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ص 21 .
- 41- انظر نظرية الأدب ص34 .
- 42- الفن والتوافق الجمالي ص54 ، ص55 .
- 43- الجمالي والفني ص 25 .
- 44- النقد الأدبي الحديث ص300 .
- 45- انظر النقد الأدبي الحديث ص302 .
- 46- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ص599 .
- 47- الأسس الجمالية في النقد الأدبي ص 66 .
- 48- المرجع السابق ص66 .
- 49- انظر المرجع السابق ص69 .
- 50- المرجع السابق ص73 .
- 51- المرجع السابق ص65 .
- 52- المرجع السابق ص78 .
- 53- الأسس الجمالية في النقد الأدبي ص71 .
- 54- المرجع السابق ص108 .
- 55- النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ص44 .
- 56- نظرية الأدب ص31 .
- 57- المرجع السابق ص31 .
- 58- فن القصة د. محمد يوسف نجم ، ط1 1996 / دار صادر ص9 .
- 59- النقد الأدبي/ مناهجه وأصوله ص75 .
- 60- فن القصة ص25 .
- 61- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق ص161 .
-

-
- 62- انظر فن القصة ص42 فما بعدها .
63- المرجع السابق ص45 .
64- انظر النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ص83 .
65- فن القصة ص9 .
66- النقد الأدبي / مناهجه وأصوله ص83 .
67- المرجع السابق ص76 .
68- النقد الأدبي / مناهجه وأصوله ص96 .
69- فن المقالة ص5 .
70- النقد الأدبي / مناهجه وأصوله ص104 .
71- المرجع السابق ص90 .
72- انظر نظرية الأدب ص31 .
73- المرجع السابق ص53 .
74- انظر الأسس الجمالية في النقد العربي ص361 .
75- انظر نظرية الأدب ص11 .
76- النقد الأدبي الحديث ص306 .
77- النقد الأدبي / مناهجه وأصوله ص55 .